



دراسة حول صنفين من النسبة: "المنسويين على خلاف الظاهر" و"المنسويين إلى غير آبائهم" من خلال تراجم مستخرجة من مدونة أسماء القيروانيين¹

صحبة سليم*

الملخص:

تهدف هذه الورقة إلى إثارة صنفين مميزين من النسبة ضمن منظومة الإسم العربي الوسيط تبين تراجم نسق حضورهما في القيروان بين القرنين الرابع والتاسع هجري، وقد تسبب وجود هذا النمط من النسب في جدل كبير بين علماء التراجم والحديث حول تحديد العنصر الأكثر تأثيراً في تحديد الانتماء إلى مجتمع ما أو فضاء جغرافي معين بالاعتماد حصرياً على عنصر النسبة.

ومن خلال بعض الأمثلة لشخصيات قيروانية معروفة تدعو المقاربة المعتمدة إلى التحري في ملاسبات اكتساب النسبتين المذكورتين ورصد إطار ظهورهما رفعاً لكل لبس وتجنباً لكل خلط والتنبيه إلى ما يمكن أن يتسبب فيه ذلك من تأثير على نتائج الدراسات التاريخية على اختلاف أصنافها.

الكلمات المفتاحية: علم أسماء الأعلام، النسبة، تراجم، القيروان، الفترة الوسيطة، مجتمع.

Résumé

Cette recherche a pour objectif de soulever l'existence de deux types de *nisba* du nom arabe et dont la présence a relativement diminué à Kairouan entre le quatrième et le neuvième siècle de l'hégire et fut à l'origine d'une grande controverse chez les biographes de l'époque à propos de l'élément qui détermine l'appartenance à une société ou un espace géographique donné en se basant exclusivement sur la *nisba*.

¹ "مدونة أسماء القيروانيين"، هي مدونة تطلب إعدادها عدة مراحل: مرحلة أولى لتجميع المادة الأولية وهي أسماء الأعلام انطلاقاً من مصادر متنوعة (كتب تراجم وأنساب وطبقات ونقائش وعلمة...)، تضمنت تراجم لشخصيات وأعلام قيروانية أينما وجدت (في المغرب والأندلس والمشرق) وهو ما سمح لنا بتجميع حوالي 1270 اسم، لأشخاص عاشوا بالقيروان خلال الست قرون الأولى للهجرة، ثم قمنا في مرحلة لاحقة بمعالجتها إعلامياً باعتماد قاعدة البيانات ONOMASTICON-ARABICUM التي مكنتنا من استغلال كل المعلومات الواردة في ترجمة الشخصيات وبالتالي تم تجاوز البيانات الواردة في سلسلة الإسم نحو معلومات تهم مثلاً الوظيفة والمهنة ومحل الإقامة والولادة والنسب والإقليم والولاء والمذهب الديني وغيرها... وقد تمكنا في النهاية من تكوين جذاذات ثرية ومتكاملة لكل شخصية مترجم لها، كانت حصيلة تراكم عدة معطيات معرفية مستقاة من مصادر متنوعة تم استغلالها في دراسة تاريخية ذات طابع اجتماعي مستغلة مجمل المادة المجمعة ذات الاهتمامات المتنوعة على غرار الديمغرافيا التاريخية ومكانة المرأة في المجتمع إضافة إلى تسليط الضوء على بعض الفئات الاجتماعية المهمشة مثل فئة العامة. لكن رغم أهمية المادة المعرفية الواردة في مصادر المدونة إلا أن العمل في هذا المجال يصطدم بجملة من العراقيل التي تستوجب الحذر في التعاطي معها نذكر منها كثرة الأخطاء والتحريف في كتابة الأسماء إلى حد التضارب وشح المادة بالنسبة إلى بعض الشخصيات بصفة متعمدة أو عفوية مما يعكس غلبة الجانب الذاتي لمؤلفي التراجم وهو ما يجعلها تفتقر أحياناً للدقة ويجعل الوقوع في الخاطئ وارد جداً لاسيما في ما يخص العنصر الأكثر غموضاً وهو عنصر النسبة لذلك نرجح أن عدداً لا يستهان به من المنسويين قد يكون من المنسويين ضمن الصنفين الذين تناولهما في دراستنا هذه ما لم نقف على معطيات جديدة ذلك. انظر سليم (صحبة)، المجتمع القيرواني إلى حدود منتصف القرن السادس هجري، الثاني عشر ميلادي: دراسة في علم الأسماء "Onomastique"، أطروحة دكتورا، تحت إشراف الأستاذة منيرة شابوتو-رمادي، جامعة تونس، 2017، الجزء الثاني: الدراسة التأليفية.

*مخبر العالم العربي الإسلامي الوسيط - جامعة تونس



A partir de quelques exemples des personnages historiques célèbres, notre approche fait appel à une vérification des conditions de l'acquisition de ces deux types de *nisba*-s et de suivre le contexte de leur apparition dans l'objectif d'éviter toute confusion et d'attirer l'attention sur ses résultats dans les différents genres des études historiques.

Mots clés : Onomastique, *Nisba*, Biographies, Kairouan, Moyen-âge, Société.

Abstract

The aim of this research is to raise the existence of two types of *nisba* in the Arabic *ism* or name that had known a decrease in Kairouan between the fourth and ninth centuries of the Hegira and were the origin of a great controversy between biographers of this period about the element that determines the belonging to a society or a given geographical space according exclusively to the *nisba*.

Starting with a few examples of famous historical cases, our approach asks for verification of the conditions of the acquisition of these two types of *nisba*-s and to follow the context of their appearance for avoiding any confusion and drawing attention to its results in the different genres of historical studies.

Keywords: Onomastic, *Nisba*, Biographies, Kairouan, Middle-Age, Society.

المراجع لذكر المقال:

صحيّة سليم، دراسة حول صنفين من النسبة: "المنسوبين على خلاف الظاهر" و"المنسوبين إلى غير آبائهم" من خلال تراجم مستخرجة من مدونة أسماء القيرواني، السبيل : مجلة التاريخ والآثار والعمارة المغاربية [نسخة الكترونية]، عدد 8، سنة 2019.

الرابط : <http://www.al-sabil.tn/?p=20184>



مثّلت المقاربة الأنوماستيكية²، بفرعيها المتلازمان والمتكاملان وهما علم أسماء الأماكن (الطوبونوميا) وعلم أسماء الأشخاص (الأنطونوميا)، بداية من النصف الثاني من القرن العشرين، رافدا هاما من روافد الدراسات التاريخية كما شكّلت مخرجاتها وثيقة بحث ثمين في مجال التاريخ الاجتماعي، رغم صعوبات استقراءها، وذلك لما توفره من مادة معرفية دقيقة على شحها وقيمة على ندرتها.

ولئن كان اهتمامنا العام موجّها نحو مجال البحث في فرعها المتصل بعلم أسماء الأشخاص، وتحديدًا في دراسة الإسم العربي الوسيط، الذي يتميز بتعدد عناصره وتكامل مكوناته بما سمح بتشكّل منظومة إسمية عربية وسيطة مميزة³، فإننا سنقتصر في هذه الورقة على استقراء ما سيقدمه لنا أحد عناصر المنظومة الاسمية للأفراد، وهو **عنصر النسبة**⁴ وتحديدًا نوع مميز من النسب.

لقد أثار اهتمامنا بهذا النمط من النسب، ووجّه انتباهنا نحوه صنف محدّد من المصادر يُعرف بكتب رجال الحديث، مثّلت إحدى مصادرنا الأولية، وقد تناولته ضمن نمط من الأنساب يُعرف بـ "النسب التي على خلاف الظاهر"⁵، مميزة إياه عن الصنف الثاني، وهو "معرفة المنسوبين إلى غير آبائهم"، ويندرج كلا الصنفين في باب "معرفة الأنساب"، التي تتصل خاصة بتراجم رواة الحديث، لأهميتها في معرفة الرواة وصلتها القويّة بعلم الرجال، فهو علم قائم على التعريف بهم⁶.

وفي هذا الإطار مثّل البحث في "المنسوبين على خلاف الظاهر" و"المنسوبين إلى غير آبائهم"، بالنسبة إلينا مجالا بكرا عملنا على استكشافه في دراستنا هذه من خلال رصد حضوره وتتبع آثاره وتوضيح ملابساته ثم بيان إمكانية الوقوع جرائه في اللبس وسوء الفهم، والكشف لاحقا عما سينجر عن ذلك من استتبعات، لاسيما بالنسبة إلى الباحثين المهتمين بالمجال الأنوماستيكي خصوصا وبالدراسات ذات الطابع التاريخي-الاجتماعي عموما. وبالنظر إلى طرافة هذا المبحث ودقته في طرح بعض الإشكاليات التي واجهتنا خلال دراسة **عنصر النسبة**، فقد سعينا في هذه الدراسة إلى معالجة إشكالية مدى الوثوق في **عنصر النسبة** والاطمئنان إليه لتحديد الانتماء إلى فضاء جغرافي معين في أرض الإسلام وذلك على ضوء حضور هذين الصنفين من النسب؟

ومن هذا المنطلق سنعمل في عنصر أول على إثارة مسألة حضور هذين الشكلين من النسب، على ضوء بعض التراجم القيروانية على امتداد الست قرون الأولى للهجرة، ثم سنستعرض في عنصر لاحق أسباب ظهوره والصعوبات التي يمكن أن تعترض الباحث في هذا المجال نظرا للإشكاليات التي يطرحها، واللبس الذي يكشفه وجود هذا الصنف من النسب.

² اشتقت كلمة أنوماستك: Onomastique (علم الأسماء) من اللفظ اليوناني Onoma التي تعني إسم وتتفرّع إلى كلمتين anthropos وتعني الإنسان أو علم أسماء الأشخاص و Toponymos وهو علم أسماء الأماكن وهو ما يبيّن اهتمام هذا العلم بالصنفين معا. أما مسار البحث في هذا المجال فقد انطلق مبكرا منذ القرن الثامن عشر بسبق أوروبي واضح مقابل اهتمام عربي محتشم يعود إلى بداية التسعينات من القرن العشرين. أما في ما يتصل بالإسم العربي الوسيط فقد بدأ العمل عليه منذ مطلع القرن التاسع عشر مع المستشرقين الإيطاليين ثم سيشهد العمل انطلاقة جديدة بداية من النصف الثاني من القرن العشرين بالتعاون بين الباحثين الفرنسيين وعلى رأسهم الباحثة جاكلين سوبليه وأكاديمية روما وتوج العمل بإصدار قاعدة المعلومات ONOMASTICON-ARABICUM بالاستناد إلى التطبيقية الإعلامية 2003 Access.

³ تتكون المنظومة الاسمية للأشخاص عند العرب المسلمين من مجموعة من العناصر منها إسم العلم وسلسلة النسب والكنية واللقب والشهرة، انظر سليم (صحيفة)، المرجع السابق، الدراسة التأليفية، ج 2 ص 48-53.

⁴ في مفهوم النسبة وأصنافها ووظائفها، انظر:

Sublet J., 1991, p. 95-113.

⁵ وتعرف أيضا عند علماء رجال الحديث بمعرفة "النسب التي باطنها على خلاف ظاهرها" انظر ابن صلاح، علوم الحديث، 2007، النوع الثامن والخمسون ص 373-375، تحقيق وشرح نور الدين عتر.

⁶ سيّد عبد الماجد الغوري، علم الرجال، تعريفه وكتبه، دار ابن كثير، دمشق-بيروت 2007، ص 405-428.



I- في "المنسوبين على خلاف الظاهر" و"المنسوبين إلى غير آبائهم": في تحديد المفاهيم ورصد الحضور

في مفهوم النسبة وأصنافها

جاء في لسان العرب لابن منظور: "النسب بمعنى القرابة، وهو واحد الأنساب وعن ابن سيده الأندلسي، النسبة والنسبة والنسب هي القرابة وقيل هو في الآباء خاصة، وقيل النسبة مصدر الانتساب. والنسب يكون بالآباء ويكون إلى البلاد ويكون في الصناعة وغير ذلك"⁷. كما ورد على لسان الصفدي أن النسب هو الإضافة لأن النسب هو إضافة شيء إلى بلد أو قرية أو صناعة أو مذهب أو عقيدة أو علم أو قبيلة أو والد⁸. أما النسب اصطلاحاً، فهو علم يتعرف منه أنساب الناس وقواعده الكلية والجزئية والغرض منه الاحتراز عن الخطأ في نسب الشخص.

يُحيلنا هذين التعريفين اللغوي والاصطلاحي إلى وجود عدة أصناف من النسب كما يبدو من ظاهرها ومنها النسبة إلى الأصول والفروع في النسب عن طريق الآباء والأجداد⁹؛ وهو النسب المنضوي تحت مؤثر "أهل"، ضمن المبحث الأنوماستيكي¹⁰ مثال نسب الهاشمي والسفياني والمرواني والأموي...، ومنها أيضاً النسبة إلى القبيلة بمختلف طبقاتها¹¹، والنسبة إلى المناطق الجغرافية سواء كانت بلد الأصول أو الإقامة أو الوفاة وتكون إلى البلد أو تتفرع نحو المدينة أو القرية أو الحي...، ونستحضر أيضاً تلك النسبة التي تكون إلى الصنعة أو المهنة أو الوظيفة ومن ضمنها أيضاً النسبة إلى النشاط العلمي والنشاط الفكري والانتماء المذهبي... ونضيف إلى مختلف هذه الأصناف ما نحن بصدد طرحه في مبحثنا هذا وهو الأقل حضوراً والأكثر غموضاً ودفعاً نحو الوقوع في اللبس والخطأ.

فما هي دلالات هذا التعدد في الأصناف؟

يعكس تعدد الأصناف، أهمية النسبة في المنظومة الاسمية للأشخاص، فهي عنصر يحتل مكانة متميزة ضمن سلسلة العناصر المكونة للاسم، وهو ما نلمسه من خلال المعطيات التي توفرت لنا، فمن جملة 1270 جذادة أحصيناها، نسجل عدد 1244 جذادة يحمل أصحابها نسبة بمختلف أصنافها، وهو ما يمثل نسبة مئوية تقدر بحوالي 98% من المجموع العام. كما يكشف تعدد النسبة لدى الشخصية الواحدة عدة وقائع وأحداث تعرضت لها في مسيرتها، ويرصد مجموعة من المحطات في حياة الشخص بصفة خاصة، والمجتمع بصفة عامة، فالنسبة يمكن أن تختزل "السيرة الذاتية" لصاحب الترجمة، وذلك بالإشارة إلى جذوره القبلية وأصوله الجغرافية، أو نشاطه المهني والفكري والديني، أو إلى الجنس الذي ينحدر منه. فضلاً عن ذلك، تسمح لنا النسبة بتقصي وتتبع "مسار حياة" الشخص المترجم له، من خلال رصد بلد أسلافه، أو محل ولادته أو نشأته أو وفاته، وتتبع رحلاته وتنقلاته... كما يمكن للنسبة، لاسيما الجغرافية منها، أن تعكس دائرة استقطاب المدينة لسكان المناطق القريبة أو البعيدة، والكشف عن علاقتها بمحيطها. ويعد غياب النسبة بمختلف أصنافها، عائقاً حقيقياً في عملية البحث مما يحيلنا إلى عدة احتمالات ويوقع بنا في اللبس والغموض.

⁷ ابن منظور، دت، ج 14، ص 118-119.

⁸ الصفدي، 2000، ص 40-46.

⁹ نميز هنا بين النسبة إلى الأصول أو الفروع والنسب بمعنى سلسلة النسب التي تكون في الغالب أبوية، في مفهوم النسب انظر:

Rosenthal F., 1993, « Nasab », *EP*, VII, p. 967-969.

¹⁰ يختلف هذا المؤشر حسب المقاربة الأنوماستيكية الواردة بقاعدة البيانات Onomasticon Arabicum عن سلسلة النسب، فهو مؤشر يتسع نحو الأصل البشري والأسلاف الأوائل وبلد الأصول.

¹¹ حول التقسيمات القبلية وأصنافها انظر القلقشندي، *قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان*، الفصل الثالث، في معرفة طبقات الأنساب وما يلحق بذلك، تحقيق وتقديم إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط 2، 1982، ص 14-16. والثعالبي، *فقه اللغة وأسرار العربية*، في تدرج القبيلة من الكثرة إلى القلة، تحقيق ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثانية، سنة 2000، ص 251-252.



في "معرفة المنسوبين على خلاف الظاهر"

يُفيد مصطلح "المنسوبين على خلاف الظاهر" أن ينسب الشخص إلى غير قبيلته، أو بلده، أو غير صنعته، أو غير ولائه، لأن الأصل في النسبة أن ينسب الإنسان إلى قبيلته، أو بلده، أو صنعته أو ولائه.

هذا ويجب التنصيص منذ البداية على أن النماذج التي عملنا عليها في بحثنا هذا هي مرتبطة أساساً بما توفر لنا من معطيات، وهي محدودة في العدد، مقارنة بالعدد الجملي للجاذبات ورغم ذلك فهي حالات جدّ معبرة.

المثال الأول: محمد بن عبدون السوسي الورّاق¹²:

ينتمي صاحب الترجمة إلى صنف الشعراء المعروفين بالقيروان خلال القرن الخامس هجري، وهو يحمل نسبة "السوسي" فهو ينتمي حسب ظاهر النسبة الجغرافية التي عُرف بها، إلى مدينة سوسة، وذلك إما لولادته أو نشأته أو مقامه بها حتى وفاته أو دفنه في مقابرهما. والواقع أنه كما يتبين لنا من ثانياً ترجمته، أنه ولد ونشأ ثم مات بمدينة القيروان، وقد أوضح مؤلف النموذج، أنه "ليس سوسياً على الحقيقة، بل هو من أكابر القيروان وبها مقامه الآن، لكن أباه هو من سكن سوسة، فعُرف بذلك". فنسبة السوسي هنا هي نسبة موروثية عن والده الذي أقام بمدينة سوسة مدة معينة وليست نسبة متصلة بالأصول الجغرافية أو بالولادة أو بإقامته هو بها ولا بوفاته، لكن هل تكفي الإقامة بمنطقة ما، مدة معينة، ليصبح المقيم بها معدوداً من أهلها فينسب إليها؟ خاصة أن النسبة تأخذ معناها أكثر خارج محيط الانتماء، إذا كان ذلك كذلك فلم لا تُطبق القاعدة على الجميع؟¹³

المثال الثاني: أبو عبد الله محمد بن بسطام الضبي السوسي¹⁴

يشير المالكي، في مؤلفه "رياض النفوس" إلى أن صاحب الترجمة هو من فقهاء القيروان، ويقال إن أصله من البصرة، سكن القيروان، ثم انتقل إلى سوسة. وكما يبدو من ظاهر النسبة، فالشخص المترجم له، ينتسب جغرافياً إلى مدينة سوسة بحكم إقامته بها آخرها، والسؤال المطروح هنا، لماذا نُسب إلى مدينة سوسة مكان إقامته الأخيرة، ولم ينسب إلى البصرة بلد أصوله ومحلّ أجداده؟ على غرار "مواطنه" أبو العباس محمد بن طيب البصري المتعبّد¹⁵، وهو أيضاً من القرويين، سكن سوسة وأوطنها، وتوفي بها حسب ابن ناجي ودفن بالقيروان. ولماذا لم ينسب إلى القيروان، محل إقامته الأولى قبل انتقاله إلى سوسة آخرها. فهل هو بصري أم قيرواني أم سوسي؟ وما هو العنصر الأكثر تأثيراً في تحديد الانتماء؟

المثال الثالث: أبو الحسن علي بن محمد المعافري القابسي أو المعروف بابن القابسي¹⁶

عُرف أبو الحسن علي بن محمد المعافري القابسي بكونه من مبرزى علماء المالكية بإفريقية في عصره، ومن فقهاها العارفين بالحديث وعلمه ورجاله، فضلاً عن كونه أصولياً. ويعدّ أبو الحسن القابسي من أهل القيروان، ويبدو، حسب ظاهر النسبة، أن صاحب الترجمة قابسي، أي أن مدينة قابس، هي بلد أسلافه أو محلّ إقامته، أو

¹² ابن رشيقي القيرواني، 1986، ص 390-395.

¹³ أثارَت مسألة النسبة جدلاً بين العلماء والمؤرخين، حول آليات اكتساب النسبة فابن حزم يرى: "ينسب الرجل إلى مكان هجرته الذي استقرّ به، ولم يخرج عنه رحيلاً إلى أن مات" ورد بالقاسي عبد الرحمان، "طنجة وآثارها"، مجلة رسالة المغرب، عدد 40، 1954. والنووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، دت، ص 41، قال عبد الله بن المبارك وغيره: "من أقام في بلدة أربع سنين نسب إليها".

¹⁴ أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، 1994.

¹⁵ المالكي، 1994، ج 2، ص 136-137 وابن ناجي، 1978 ج 2، ص 340.

¹⁶ القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي، د ت، ج 2 ص 616-621، وأبو الفضل بن عيسى بن ناجي التّوّخي، والأسديدي الدّبّاغ أبوزيد عبد الرحمان بن محمد الأنصاري، المصدر السابق، ج 3، ص 134-143 ومنيرة شابوتو-رمادي، "القابسي"، 2009، ص 246-247.



موطن استقراره آخره، لكننا نجد أن القاضي عياض في مداركه¹⁷ يبين خلاف ذلك إذ يقول: "لم يكن أبو الحسن قابسياً، وإنما كان له عم يشدّ عمامته مثل القابسيين فسمي بذلك"، وهو قيرواني الأصل والنشأة والوفاة، ونشير أن هذه النسبة التي لا يمكننا الجزم في حيثيات اكتسابها، قد تحولت إلى شهرة ورثها ابنه عبد الواحد.

أما ابن ناجي في معاملة¹⁸ فيبدو غير مقتنع برأي القاضي عياض، إذ يستدرك قائلاً: "وهذا فيه نظر وظاهر قولهم المعروف بابن القابسي يقتضي أن والده كان من أهل قابس، فإما أن يكون أتي إلى القيروان وتزوج بها وتزايد له بها، وإما أن يكون أتي به صغيراً". لكن يظهر أن طرح المؤلف، لا يستند إلى معطيات ثابتة في ترجيح نسبته إلى مدينة قابس، وتحديدًا إلى بلد المعافريين التي اكتسب منها نسبته الأولى، كما يشير إلى ذلك كاتب الترجمة، وهنا يطرح أمامنا إشكال آخر، فهل نسبة المعافري التي ينسب لها هذا الفقيه، هي نسبة قبلية إلى قبيلة معافر اليمنية¹⁹ أو هل هي نسبة جغرافية إلى بلد المعافريين²⁰؟ وهل تعكس النسبة دائماً الأصول سواء كانت قبلية أو جغرافية؟

المثال الرابع: أبو محمد عبد الحميد بن محمد المغربي المعروف بابن الصائغ²¹:

يعتبر أبو محمد عبد الحميد بن محمد المعروف بابن الصائغ من الفقهاء والمحدثين ومن الزهاد المتعبدين العالمين بالأصول، ويبدو أن نسبة المغربي هنا هي نسبة إلى بلاد المغرب، وهي نسبة ترتبط بأهل المغرب أثناء رحلاتهم إلى المشرق لطلب العلم والحج، وقد عرف بها عدة شخصيات، مثل أسد بن الفرات²² أثناء زيارته إلى مالك، وأيضاً أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي²³ لكننا هنا أمام حالة مغايرة، فابن الصائغ هذا يعتبره القاضي عياض في "مداركه" من أهل القيروان، انتقل إلى الإقامة إلى سوسة، ثم المهديّة، ثم عاد إلى سوسة وتوفي ودُفن بها. لكن لماذا لم ينسب إلى سوسة كسابقه؟ أو إلى المهديّة مكان رحلته ثانياً ومن أين اكتسب نسبة المغربي؟ فهل يكون ذلك مرتبطاً ربما بوجود سمي²⁴ له في مجالات جغرافية أخرى.

المثال الخامس: الشيخ أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله البكري الصقلي²⁵:

يعدّ الشيخ أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله البكري الصقلي من كبار الفقهاء والمحدثين ومن أهل الزهد والتصوف والصلاح وهو قروي ينسب إلى صقلية، إذ يقول حسن حسني عبد الوهاب في كتاب العمر: "لا ندري إن كان ولد بصقلية كما تقتضيه نسبته"، وهو ما يجيز لنا التساؤل ما إذا كانت النسبة تُكتسب بالولادة دون غيرها؟

¹⁷ عياض القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي، د، ج 2، ص 616-621.

¹⁸ الدبّاع وابن ناجي، المصدر السابق، ج 3، ص 134.

¹⁹ قبيلة معافر هي قبيلة قحطانية وهم بنو المعافر بن يعفر بن مالك، أخي عمرو بن مالك، بن الحارث بن مرة بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ. انظر أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق، عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف القاهرة، 1985، ص 418-419 وص 485.

²⁰ بلد المعافريين من قرى مدينة قابس خُلّيت قبل القرن التاسع هجري، ورد بالدبّاع وابن ناجي، نفس المصدر، ج 3، ص 134.

²¹ عياض، دت، ج2، ص 794-796 والدبّاع وابن ناجي، نفس المصدر، ج3، ص 200-201.

²² ترجم له محمد أبو العرب، نفس المصدر، ص 163-166، ومحمد المالكي، 1994، ج 1، ص 245-273 وعياض، د ت، ج 2، ص 465-470.

²³ ترجم له محمد أبو العرب، نفس المصدر، ط2، ص 107-111، ومحمد المالكي، 1994، ج 1، ص 176-187 وابن ناجي، نفس المصدر، ج 1، ص 238-248.

²⁴ ورد بلسان العرب، ج6، ص 382، سَمِيكَ المسمّى باسمك، تقول هو سَمِيٌّ فلان إذا وافق اسمه كما تقول هو كَنِيَّة. لكن المقصود بالسَمِيّ "l'homonymie" في إطار المقاربة الأنوماستيكية لا يقتصر فقط على من يحمل نفس إسم العلم بل يتعداه إلى غيره من مكونات الإسم العربي من (سلسلة النسب والكنية والنسبة) ولنا في ذلك أمثلة كثيرة في كتب التراجم ولعل أكثرها تعبيراً عن المدى الذي يمكن أن يبلغه التطابق والتوافق في سلسلة الإسم نذكر الرواية الواردة على لسان الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات، ج1، الفصل الخامس من المقدمة، تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط1، 2000، ص 48-49.

²⁵ وردت ترجمته بالدبّاع وابن ناجي، نفس المصدر، ج3، ص 144-146 وحسن حسني عبد الوهاب، 2001، ج 1، ص 455-456.



المثال السادس: أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن علي الأنصاري الأسدي الدبّاغ المؤرخ²⁶:

كان أبو زيد عبد الرحمان بن محمد بن علي الأنصاري الأسدي الدبّاغ المؤرخ، معتنياً بالآثار جامعاً لها²⁷ وكان يقول الشعر. ورد في معالم الإيمان لابن ناجي الجزء الرابع: "...وسبب تسمية جدّه الكبير بـالدبّاغ" هو أنه قدّمه قاضي الجماعة والسلطان، وكتب له الظهير بقضاء بلده القيروان، وبعث له به، فلمّا عرف أن الظهير يرد عليه في وقت الضحى، بكر... إلى دار الدبّاغ وعزى حوائجه وتحزّم، ثم أخذ يملأ بالدلو ويفرغ على الجلود... فلمّا عرف من ذكر قالوا: نعرف أن ما صنّاعته دبغ الجلود... وإنّما فعل ذلك بقصد الهروب من القضاء والنجاة بنفسه وقدموا غيره...".

يبدو من خلال ما تقدّم، أن نسبة الدبّاغ هي نسبة موروثّة عن الجدّ الأكبر لصاحب الترجمة، وهو أبو محمد عبد الله بن محمد الأنصاري الصوفي المشهور بالدبّاغ²⁸ وقد أصبحت هذه "الشهرة" بمثابة "نسبة موروثّة" للعائلة التي تعتبر من الأسر العريقة بالقيروان، جمع أفرادها بين العلم والعمل والورع ونسب الأنصار، ولهم مسجد بالقيروان يعرف بمسجد الدبّاغ²⁹. وحسب ما ورد في سياق الترجمة فإن شهرة الدبّاغ لا علاقة لها بالواقع، ذلك أنّ صاحب الشهرة التي تحوّلت إلى نسبة ورثها خلفه من بعده، هي "نسبة على خلاف الظاهر" فالمنتسب إليها، لم يكن يوماً دبّاغاً ولم يمارس هذه المهنة في حياته قطّ، وقد أحاطت باكتسابه لهذه النسبة أحداث طارئة، تتمثل أساساً في رغبته في التملّص والتخلّص من تكليفه بوظيفة القضاء في القيروان.

في "معرفة المنسويين إلى غير آبائهم"

يعني اصطلاحاً أن ينسب الشخص إلى غير أبيه مثل أمّه أو جدّته أو جدّه أو غيرهم³⁰. ومعرفة الأب عند علماء الحديث أمر ضروري لدفع توهم التعدّد عند نسبتهم لأبائهم³¹.

المثال الأول: أبو عمرو البهلول بن عمر بن صالح بن عبّيدة بن حبيب بن صالح التّجيبّي ثم الفردمي شهر ابن عبّيدة التّجيبّي³²:

هو فقيه ومحدّث قيرواني ويعتبر من العلماء المجتهدين، ولد ومات بالقيروان سنة 233-234هـ/847-848م، وكما يبدو فإن صاحب الترجمة ينسب إلى جده الأكبر، عبّيدة بن حبيب بن صالح التّجيبّي وقد تحوّل هذا النسب إلى إسم شهرة عرف بها حفيده.

المثال الثاني: أبو مالك أمان بن الصمصامة بن الطرمّاح بن حكيم الطائي شهر أبو مالك الطرمّاح³³:

يعدّ أبو مالك الطرمّاح، من الشعراء المتميزين، ومن علماء اللغة بالقيروان، وجدّه هو الطرمّاح الشاعر الأموي المشهور، ويبدو أن هذا الشاعر قد ورث صنعة جدّه في الشعر، كما أصبح ينسب به واشتهر بذلك.

²⁶ أبوزيد عبد الرحمان بن محمّد الأنصاري أكمله وعلّق عليه، أبو الفضل بن عيسى بن ناجي التّوخي، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق وتعليق الأخوان الشيخ محمد المجدوب والدكتور عبد العزيز المجدوب، المكتبة العتيقة تونس، ج 4، ص 88-91.

²⁷ من أشهر مؤلفاته كتاب "معالم الإيمان في مناقب المشهورين من علماء القيروان" الذي أكمله وعلّق عليه ابن ناجي وكتاب "تاريخ ملوك الإسلام" وكتاب "جلاء الأفكار في مناقب الأنصار". لمزيد الاطلاع على الشخصية ومؤلفاتها انظر محمد حسن، "الدبّاغ"، موسوعة القيروان، الدار العربية للكتاب، تونس 2009، ص 150-151.

²⁸ الدبّاغ وابن ناجي، نفس المصدر، ج 4، ص 20.

²⁹ ابن ناجي، نفس المصدر، ج 4، ص 91 و 142-144.

³⁰ ابن صلاح، نفس المصدر، ص 370 والسيوطي، تدريب الراوي في تقريب شرح النواوي، النوع السابع والخمسون والنوع الثامن والخمسون تحقيق مازن بن محمد السرساوي، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2009، ج 2، ص 964-970.

³¹ الغوري، نفس المرجع، ط 1، 2007، ص 421.

³² أبو العرب التميمي القيرواني، نفس المصدر، ص 175 ومحمد المالكي، 1994، ج 1، ص 281-282 والدبّاغ وابن ناجي، نفس المصدر، ج 2، ص 66-68.

³³ أبو بكر بن محمد بن الحسن الزبيدي، 1984، ص 225.



المثال الثالث: أبو عثمان سعيد بن محمد بن صبيح شهر ابن الحدّاد الغساني:³⁴

ابن الحدّاد الغساني هو من علماء القيروان المبرزين، عالم بالكلام والفقه واللغة والجدل والعربية، عارف بالشعر، ولد بالقيروان سنة 219هـ/834م وتوفي بها في 302هـ/915م. وقد جاء في المعالم لابن ناجي؛ "والحدّاد جدّه لأمه وعوام القيروان عندنا، يقولون سعيد الحدّاد، وإنّما سمي الحدّاد لحدّة ذهنه وهو وهم، وإنّما هو ابن الحدّاد والمراد ما تقدّم"³⁵، إذا يبدو من رواية ابن ناجي أن ابن الحدّاد القيرواني، ينسب بجدّه لأمه وقد اشتهر بذلك.

المثال الرابع: أبو بكر أحمد بن إبراهيم ابن أبي عاصم بن إبراهيم اللؤلؤي النحوي القيرواني شهر ابن أبي عاصم اللؤلؤي³⁶:

يعتبر ابن أبي عاصم اللؤلؤي من علماء القيروان البارزين فقد جمع بين فنون شتى من العلوم، منها الفقه والحديث، إضافة إلى الأدب والشعر واللغة، فضلا عن وظيفته في كتابة الدواوين في ظل حكم الدولة الفاطمية. ولد اللؤلؤي بالقيروان بين 274 و277هـ/887م و890م، وتوفي بها سنة 318هـ/930-931م. ينسب صاحب الترجمة بجدّه أبو عاصم، وقد اشتهر بذلك حتى طغى على نسبه الأبوي.

المثال الخامس: أبو بكر محمد بن محمد بن وشاح اللباد الفقيه شهر ابن اللباد:³⁷

أبو بكر ابن اللباد هو من الفقهاء المبرزين والحفاظ المعدودين في القيروان، ولد بالقيروان سنة 250هـ/864م وتوفي بها سنة 333هـ/944م. حمل نسبة اللباد وهي نسبة لجدّه وشاح الذي كان حائكا من موالي الأقرع مولى موسى بن نصير. وقد اشتهر صاحب الترجمة بنسبته لجدّه وشاح اللباد وعرف بها.

المثال السادس: أبو القاسم سلمان بن محمد بن الأبراري شهر ابن الأبراري:³⁸

يعدّ ابن الأبراري من شعراء الدولة الصنهاجية، عاش بالقيروان وتوفي بها سنة 410هـ/1020م، ينسب ابن الأبراري بجدّه لأمه وقد كان أبراريا واشتهر بنسبته هذه لمهنة جدّه وليس لأبيه.

II - دلالات وجود هذا الصنف من النسب واستتبعاته

الدلالات

لقد بدا لنا انطلاقا من مجموع النماذج المقدمة إمكانية أن تتحوّل النسبة إلى شهرة يتوارثها الأبناء على الآباء، والآباء على الأجداد، وبالتالي فإنّ حضورها في آخر سلسلة الإسم، لا يعني بالضرورة أنها تتصل اتصالا مباشرا بصاحب الترجمة، مثال نسبة الدباغ ونسبة القابسي بالنسبة إلى صنف المنسوبين إلى خلاف الظاهر (انظر النموذج الثالث والنموذج السادس) وبالتالي لا يمكننا أن نكتفي فقط بهذه النسبة الظاهرة لتحديد الانتماء. إضافة إلى ذلك نسجل بروز عامل لا يستهان بمدى تأثيره في صحّة مؤشّر النسبة، وهو عامل "اختلاط الأنساب" وهو ما يجعل النسبة سواء كانت "ثابتة" أو على "خلاف الظاهر" محلّ شك، يستوجب العمل على نفيه أو تدعيمه، وذلك أن جمع التراجم وتدوينها هو جهد بشري لا بدّ أن يلحقه القصور الإنساني، وفي هذا السياق يقدّم ابن خلدون في

³⁴ أبو عبد الله محمد بن الحارث الخشني، د ت، ص 148-151 والمالكي، 1994، ج 2، ص 57-115.

³⁵ الدباغ وابن ناجي، نفس المصدر، ج 2، ص 295-315.

³⁶ الزبيدي، المصدر السابق، ص 243 وعبد الوهاب حسن حسني، نفس المرجع، ج 3، ص 42-43.

³⁷ المالكي، المصدر ذاته، ج 2، ص 283-292 وعياض، المصدر ذاته، ج 2، ص 304-311 والدباغ وابن ناجي، نفس المصدر، ج 2، ص 21-27.

³⁸ ابن رشيق القيرواني، نفس المصدر، ص 109.



مقدّمته³⁹ بعض أسباب وقوع الاختلاط واللبس خاصة في مجال الأنساب القبليّة فينسب الشخص إلى غير قبيلته وأصوله نذكر منها مثلا تأثير الأحلاف بين القبائل الذي يؤدي إلى انصهار بين عناصر القبيلتين فتنسب القبيلة الأضعف إلى الأقوى وبمرور الزمن تتلاشى الفوارق ويصبح النسب الجديد واقعا يجهله النساب. هذا فضلا عن دور نظام الولاء، وخاصة ولاء الحلف حيث يتحوّل الحليف بمرور الزمن إلى عنصر أصلي في القبيلة بالرغم من حرص واضعي التراجم على الإشارة إلى ذلك بعبارة "مولاهم" لكن يصبح من الصعب على العلماء تحديد الفوارق بينهما. ثم إن طول سكن الحواضر يفقد العرب اهتمامهم بأنسابهم فيميلون نحو الانتساب إلى قراهم وأمصارهم وتتوسع الظاهرة كلّما نما العمران وازدهر.

كما يمكننا أيضا أن نستحضر بعض الأسباب الأخرى لوقوع الخلط في الأنساب منها طول الفترة الزمنية التي تفصل بين زمن تدوين الأنساب وفترة حفظها في الذاكرة⁴⁰. فضلا عن تشابك القبائل بأسمائها وتشابهها⁴¹ وإمكانية الخلط بين إسم القبيلة وإسم المكان مثال الخلط بين (صدف القبيلة)⁴² وصدف القرية⁴³ / الأنصاري نسبة إلى مدينة الأنصارين⁴⁴ والأنصاري نسبة إلى قبيلة الأنصار⁴⁵ ومنها أيضا صعوبة تحديد آليات اكتساب النسبة الجغرافية من شخص إلى آخر واختلاف العلماء والمؤرخين حولها.

وفي المحصلة فإنّ العمل على هذا النمط من النسب كشف لنا عن تطوّر علم التراجم في إفريقية تطوّرا بارزا من عهد أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تميم في كتابه حول أعلام القيروان وتونس الحامل لعنوان "طبقات علماء إفريقية وتونس" ويعتبر مؤلفنا من علماء القيروان البارزين في علوم شتى منها معرفته بالسند والرجال كما اشتهر بكونه رافع لواء علم التاريخ بإفريقية عاش بين منتصف القرن الثالث هجري (250-260هـ / 864-873م) وتوفي حوالي (333هـ / 944م) إلى عهد ابن ناجي التنوخي الذي أكمل مؤلف الدباغ وعلّق عليه وهو الكتاب الموسوم "معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان"، أي من القرن الرابع وهي الفترة التي عاش فيها أبو العرب إلى التاسع هجري زمن حياة ابن ناجي. فبينما يكثر عند أبي العرب حضور هذين الصنفين من النسبة (في المنسوين إلى خلاف الظاهر والمنسوبين إلى غير آبائهم)، وهما صنفان يطغى عليهما الغموض، وتكثر فيهما إمكانية الخلط والوقوع في اللبس، كما بينا سابقا، يبدو أن علم كتابة التراجم وتدوينها قد إستوى وأصبح أكثر نضجا في الفترات اللاحقة، وتبلور بأكثر وضوح خلال القرن التاسع هجري/الخامس عشر ميلادي، حيث ظهر التدقيق والتمحيص عند مؤلفي التراجم ومنهم الدباغ وابن ناجي، اللذان عملا على تفصيل النسبة وتصنيفها، تجنبا للخلط والارتباك ودرء للتأويلات. فضلا عن ذلك فإنه ورغم هيمنة النسب الأبوي في المجتمعات العربية الإسلامية -ومن ضمنها المجتمع القيرواني- وهو ما يعكس سيطرة الطابع الذكوري لهذه المجتمعات، فإن ذلك لم يحل دون انتشار أشكال أخرى من الأنساب على غرار المنسوبين إلى أمهاتهم أو إلى أحد أقاربهم وخاصة إلى أجدادهم وهو ما بينه صنف المنسوبين لغير آبائهم.

³⁹ أبو زيد ولي الدين عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون، 2006، ج 1، ص 230-232.

⁴⁰ كانت الأنساب عند العرب في البداية ترسخ في الذاكرة الجماعية ويتناقلها النساب عن طريق الحفظ والرواية الشفوية على غرار بقية الآداب والفنون ثم مع بداية التدوين التي انطلقت في نهاية العهد الأموي وازدهرت خلال العهد العباسي الأول وبدأ تجميع الأنساب وضبطها فنزعت من الصدور إلى السطور، كما دونت بقية الأخبار والآثار، ولاشك أن هذا الأمر سيلحقه بعض اللبس والخلط والتصنيف فهو جهد بشري محدود الدقة.

⁴¹ ظهرت عدّة مصنّفات لرفع اللبس في النسب على والتنبيه لوجوده على غرار "مختلف القبائل ومؤتلفها" لابن حبيب (أبو جعفر محمد)، تحقيق إبراهيم الإيباري، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1979 والأزدي، "مشتبه النسبة في الخط واختلافها في المعنى واللفظ"، دراسة وتحقيق واثق وليد العميري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971.

⁴² حول قبيلة صدف انظر ابن حزم الأندلسي، المصدر ذاته، ص 461 و471 والسمعاني أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، الأنساب، تحقيق عبد الرحمان بن يحيى اليماني، القاهرة، 1980، ج 8، ص 43-46.

⁴³ قرية صدف هي قرية تبعد عن القيروان بنحو خمسة فراسخ (سبعة عشر كيلومتر على طريق سيدي الهاني) نزلت بها قبيلة صدف اليمنية وردت ابن رشيق، نفس المصدر، ص 189، ونقلها عنه ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 344.

⁴⁴ حول موقع الأنصارين انظر الباهي أحمد، سوسة والساحل في العهد الوسيط، محاولة في الجغرافيا التاريخية، مركز النشر الجامعي، تونس، 2004، ص 454-455.

⁴⁵ حول نسب الأنصار، انظر ابن حزم الأندلسي، 1982، ص 332-366.



استتبعات ومحاذير وجود هذا النمط/الصف من النسب

يشارك كلا الصنفان موضوع الدراسة في إمكانية الخلط واللبس إذا لم تتوفر المعطيات والمعلومات الكافية حول المترجم له، فقد يعتقد أن النسب أبوي، كما يبدو من ظاهر النسب بالنسبة إلى صف "المنسوين إلى غير آبائهم"، بينما تفيد المعطيات الواردة في الترجمة أن النسب متصل في الحقيقة بأحد الأجداد أو أحد الأقارب. لذلك فإن حضور هذا النمط من النسب يدفعنا إلى الإقرار بتعقيد وتشعب حيثيات تشكّل عنصر النسبة ضمن المنظومة الإسمية للأفراد، نظرا لصعوبة تحديد العامل الأكثر تأثيرا في اكتساب أو ظهور نسبة ما، حتى تتحول إلى العنصر البارز/الصريح في سلسلة إسم صاحب الترجمة أو أحيانا في شكل إسم شهرة يحجب بقية العناصر فهل هو عامل الأصول (قبلية كانت أو جغرافية)؟ أو هو عامل الولادة أو النشأة؟ أو هو عامل الإقامة أو الوفاة...؟ مع التأكيد على اختلاف العلماء والمؤرخين السابقين واللاحقين حول تحديد هذا العامل. ومن هذا المنطلق يجوز لنا أن نتساءل عن مدى جدوى وتأثير الارتكاز على عنصر النسبة بمفرده، على الرغم من كونها عنصر شديد التأثير بالمحيط الخارجي (المكان)، وغير ثابتة في الزمن (الزمان)، كمؤشر رئيسي في تحديد انتماء شخص ما إلى مجال جغرافي معين، وبالتالي ضبط هوية المجتمع الذي ينتمي إليه؟

لكل هذه الأسباب مجتمعة فإن الوقوع في اللبس، والاشتباه في النسب، والخلط فيه، وسوء فهمه، أمر وارد جدا، وقد اعتبره المعتنون بعلم رجال الحديث "ضررا ليس بالهين"، يجب الأخذ بأسبابه والتحري فيه، وعدم الاستهانة بأخطائه التي ستكون لها عدة إرهابات على مجمل المعارف المتصلة به، والتي لا يمكن تجاهلها. أما فيما يتصل بمجال اهتمامنا، فلا شك أنه سيكون لوجود هذا الصنف من النسب استتبعات جمّة، قد تؤثر على دقة الكتابة التاريخية والبحوث المرتبطة بها، ولاسيما تلك التي تركز على المنهج الكمي⁴⁶، ويبرز هذا الأثر واضحا خاصة في المرحلة الإحصائية حيث يمكن أن ينسب أفراد إلى غير آبائهم وغير قبائلهم وغير أصولهم الجغرافية وحتى إلى غير مهنتهم ووظائفهم ومعتقداتهم... بما سينعكس لاحقا على قراءة المعطيات، وضبط الخلاصات، فتتعدد نتيجة لذلك إمكانات الخلط وتتسع حلقات سوء الفهم، وهو ما سيؤثر بالضرورة على النتائج المستخرجة والاستنتاجات المقدمة التي ستمتد إلى مجال أشمل، يتجه نحو تحديد مسألة الانتماء الإقليمي والمجتمعي والاقتصادي والسياسي والفكري...⁴⁷

وعليه، لابدّ للباحث في المجال التاريخي عموما وذو المنحى الاجتماعي خصوصا، حيث تُطرح مسألة التصنيف وتحديد الانتماء إلى الفضاء/المجال، جغرافيا كان أو قريبا أو اقتصاديا ومجتمعيًا عموما، أن يتبين وجود هذا الصنف من النسب وأن يكون واعيا بما يطرحه من لبس وما يُقرّه في النهاية من وجوب تنسيب مجمل الاستقراءات المقدمة وهو ما يفيد آخر ترك نوافذ البحث مفتوحة لنتائج أكثر وثوقا ودقة في المستقبل.

خاتمة

لقد رصدنا من خلال عملنا على كتب الأنساب والتراجم والطبقات والنقائش، وجود عدد من النسب - وإن كان قليلا من حيث الحضور والانتشار - تندرج ضمن "صنف النسب إلى خلاف الظاهر" و"صنف المنسوين إلى غير آبائهم"، وهو ما دفعنا إلى التحري والبحث عن حيثيات اكتسابها - ما أمكن لنا ذلك - باعتماد عدة مصادر ومقارنتها ومقارعتها. وقد بدا الإشكال أكثر تعقيدا وغموضا لاسيما بالنسبة إلى التراجم المستخرجة من النقائش، نظرا لما يحتويه هذا الصنف من المصادر من مادة مقتضبة بحكم طبيعتها (تخليدية أو جنائزية...)، خاصة إذا ما

⁴⁶ هو منهج يقوم على استخدام التقنيات الحديثة مثل الحاسوب وقواعد البيانات والإحصائيات وقد كان للمؤرخين الفرنسيين السبق في الاستفادة من الوسائل الكمية في الدراسات الاجتماعية والتاريخية ثم توسعت الأعمال لاحقا نحو المجال الأوروبي والأمريكي. انظر مثلا أعمال شارل بيلا Charles Pellat وريتشارد بوليت Richard Bulliet.

⁴⁷ مثال دراسة Dagorn حول النقائش الجنائزية القيروانية والتي نرجح أنها تمت في مجملها على النسب الظاهرة الواردة في النصوص النقائشية انظر:



انعدمت إمكانية التثبت من دقة المعطيات الواردة بالنقشة في مصادر أخرى مكتوبة، تهتم بهذا الصنف من التراجم، وهو ما يمكن أن يقدم قراءات تفتقر إلى الدقة وتحتاج إلى مزيد من التعمق والبحث عند استخراج المعلومات وضبط النتائج واستقراء المعطيات. كما بدا لنا أن حدوث الالتباس في النسب حاصل لا بل هو مؤكد، خاصة النسب الجغرافية والقبلية، لكنه لبس يصعب ضبطه بسبب غياب قواعد ثابتة ومقاييس واضحة تفسر هيمنة عامل على آخر في بروز النسب الصريحة دون غيرها، وقد تفتن مؤلفو التراجم ولاسيما العاملين في هذا المجال والمهتمين بدراسة الأنساب إلى إمكانية تجنب الخلط والغموض والاضطراب في النسبة ففصلوا فيها وصنفوها فمنها نسبة الولادة، ومنها تلك المرتبطة بالنشأة، ومنها ما اتصل بالإقامة والهجرة آخراً، وهو ما أدى إلى وضع أصناف للمنتسبين إلى منطقة ما ومنها القيروان⁴⁸ تختلف باختلاف مراحل الاتصال والالتحاق والانتماء إلى المدينة، لكن يبقى الإقرار بالعامل الأكثر تأثيراً في تحديد الانتماء، عملاً يصعب الجزم فيه نهائياً نظراً لتداخل العوامل المؤثرة في تحديد مسألة الانتماء إلى مجال شاسع يمتد من بلاد ما وراء النهر إلى البحر المحيط وهو مجال "أرض الإسلام".

وبالنظر إلى ما تقدم، لم نتمكن من التفطن في دراستنا هذه، التي اعتمدنا فيها على مدونة أسماء القيروانيين، إلا إلى عدد محدود من التراجم، بما توفر لنا من معطيات، لا تتجاوز نسبة الواحد بالمائة من المجموع العام، لكن لا يعني ذلك عدم وجودها، بل قد تكشف بحوث أخرى، تتوفر لها مصادر جديدة، ما عجزنا عنه نحن إلى حد الآن.

⁴⁸ لقد حاولت من خلال هذا المعطى تصنيف أهل القيروان إلى أربعة أصناف استناداً إلى عدة معطيات منها (الولادة والنشأة والإقامة والوفاة والهجرة وتواصل العقب ووجود مسكن بالمدينة ومسجد وغيره، انظر صحبة سليم، نفس المرجع، الجزء الثاني: الدراسة التأليفية، ص 283-301.



المصادر والمراجع

- ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، 1982، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق وتعليق، عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف القاهرة.
- ابن خلدون أبو زيد ولي الدين عبد الرحمان بن محمد، 2006، **المقدمة**، ج1، تحقيق إبراهيم شيوخ وإحسان عباس، تونس.
- ابن صلاح، الشهرزوري، 2007، **علوم الحديث**، تحقيق نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق.
- ابن منظور، **لسان العرب**، دت، ج 14، باب النون، دار إحياء التراث، بيروت، ط3.
- الثعالبي، 2000، **فقه اللغة وأسرار العربية**، تحقيق ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الثانية.
- الصفدي، 2000، **الوافي بالوفيات**، ج1، تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط1.
- سليم صبيحة، 2016-2017، **المجتمع القيرواني إلى حدود منتصف القرن السادس هجري، الثاني عشر ميلادي: دراسة في علم الأسماء "Onomastique"**، أطروحة دكتورا، تونس.
- عبد الوهاب حسن حسني، 2001، **كتاب العمر في المصنّفات والمؤلفين التونسيين**، تحقيق محمد العروسي المطوي وبشير البكوش، أربعة أجزاء، الدار العربية للكتاب، تونس.
- الغوري سيد عبد الماجد، 2007، **علم الرجال**، تعريفه وكتبه، دار ابن كثير، دمشق-بيروت.
- موسوعة القيروان**، 2009، الدار العربية للكتاب، تونس.
- Dagorn R., 1973, « Quelques réflexions sur les inscriptions arabes des nécropoles kairouanaïses », *R.O.M.M.*, N° 13-14, 1^{er} semestre, p. 239-258.
- Rosenthal F., 1993, « Nasab », *EF*, VII, p. 967-969.
- Sublet J., 1991, *Le Voile du nom. Essai sur le nom propre arabe*, Paris, PUF .